

من فيينا.. «ساكن» يتكلم والخرطوم تسمع! (1)

(2) حوار - محمد نجيب

عبد العزيز بركة ساكن - أحد أشهر الأسماء الجديدة في كتابة الرواية، أعماله التي رفضت من قبل المصنفات الأدبية والفنية بالسودان نشرت كلها خارجه، وترجمت إلى العديد من اللغات (الجنقو، مسيح دارفور، الخندريس) وخلافها.. هنالك من يرون أنه كاتب مبدع، وهنالك من يرون أن رواياته مجرد منفستو سياسي.. وأنه استثمر حادثة المنع الرقابي لخلق ضجة إعلامية. ورغم كل الاختلاف يبقى بركة ساكن في المشهد الإبداعي يؤسس لمشروعه وفق قناعاته ورؤاه.. جلست إليه على مدى أكثر من جلسة.. هو في فيينا، وأنا في الخرطوم في محاولة للوصول إلى بعض عوالمه وأفكاره لـ(حوش الزول).

- بركة ساكن بدءاً.. دعني أسألك عن الخطوات الأولى في عالم الكتابة؟

البداية كانت محاولات، لا يمكن عنوانها الآن، أو وضع إطار فلسفي لها،

(1) نشر الحوار بصحيفة الوطن القطرية بتاريخ 5 سبتمبر 2013.

(2) شاعر وصحفي سوداني.

لأنها لم تكن عن قصد، أو كنت أعيها فعلاً، كانت مغامرات طفل صغير اكتشف متعة القراءة، وسحرته نصوص وحكايات، وبدأ يعمل على خلق أشكال تخصه من المتعة، ربما كنت أكتب لأرى تأثير ذلك على وجه أختي (محاسن)، كانت هي قارئتي الوحيد وناقدي الوحيد أيضاً.

- متى كان ذلك، وهل من طواقم جعلتك تبحث عن طعم

الحبر؟

بدأت ذلك ربما في الثالثة عشرة من عمري، أو أقل أو أكثر، ولكن الذي متأكد منه، أن ذلك حدث في خشم القربة وأنا في المدرسة المتوسطة، وحدث بالضبط وبالذقة بعدما قرأت المجموعة القصصية الكاملة للشاعر الأميركي والقاص (إدجار ألان بو).. (ترجمة خالدة سعيد)، سرقتها من قطية أخي الأكبر فريد، وعرفت فيما بعد أنها كانت تخص صديقه محمد ملك، ذات صباح باكراً في يوم مطير يستحيل أن أتذكرها الآن.

- إذاً كان للمناخ تأثير دفعك لمحاولة الكتابة؟

طعم النصوص ما زال في مخيلتي، (قصص الرعب والخوف)، تلك هي الفترة التي كتبت فيها روايتي الأولى الموسومة بـ (تحت النهر) وهي رواية قصيرة طفولية، أعجب بها أستاذ اللغة العربية سعيد أبو بكر وجعلني أقرأها لطلاب المدرسة كلهم فصلاً.. فصلاً، كنت حينها خجولاً، وممتناً، وتلعب عفاريت المتعة في مخيلتي.

- لننحدث الآن عن الأعمال التي قدمت بركة ساكن للمشاهد

الآبداعي؟

البدايات الناضجة نشرت باكورتها في مجلة الناقد، التي كانت تصدر في لندن، رئيس تحريرها نوري الجراح، ذلك في عام 1989، وهي مجموعتي (على هامش الأرصفة) صدرت أول مرة في 2005 عن طريق الخرطوم عاصمة للثقافة العربية وصادرتها وزارة الثقافة في نفس العام، وقبلها كنت قد فرغت من كتابة روايتين هما (الطواحين) و(زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة)، وهناك رواية لم تنشر بعنوان (الفقايح) في سنوات دراستي الجامعية بجمهورية مصر العربية، وكانت أعمالي الأولى تجريب شرس على طرائق كتابة حديثة، وروح شابة للتجديد والعمل في اكتشاف آفاق أرحب في السرد وخاصة موقع الراوي والمكان.

- بركة ساكن لماذا تختار الآن الهجرة؟

لم أختَر الهجرة، بل أجبرت عليها، وهي أيضاً ليست هجرة، بل هي منفى، ودفعت إليه دفعاً، لم يكن في يدي اختيار المكان أو الزمان أو كيف ولم وبأية طريقة، وأنت أعلم وأعرف بحيثيات ذلك، فكان علي أن أنجو بحياتي، تماماً كما قال لي أستاذي عيسى الحلوي في بيته بحي الجامعة الإسلامية (من مسؤولية الكاتب أن يحافظ على نفسه) وهذه الجملة تعني أبعد من الأكل والشرب والإنجاب، وهي أيضاً تذهب إلى أبعد من القبر بقليل.

- وما الفرق يا بركة بين المنفى والغربة؟

المغترب يحاول أن يعيش داخل ثقافة لا ينتمي إليها مما يجعله مضطراً لأن يأخذ وضع الحرياء؛ أن يتلوّن بلون البيئة التي حوله ليحمي نفسه من الخطر، ولكن المنفى غير ذلك، فهو ينكمش على ذاته، وينكفي على آلامه

وجراحاته، وبينني عشاً سميكا من الذكريات والحزن، وهذا يحميه من كل شيء إلا من شر الوسواس الخناس، وهو بذلك ليس أشبه بالحرباء، ولكن أشبه بنفسه هو بالذات.

- ترى كيف يكون بركة ساكن بعد 10 سنوات قادمات؟

أعمل على عمليين، بدأت الأول منهما قبل عام، والآخر هنا، ربما يريا النور خلال السنتين القادمتين، أعمل على نشر كتبي المترجمة للإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومحاولة البحث عن نوافذ ترجمة للأعمال التي لم تترجم بعد، أحاول أن أستفيد من منفاهي بالنمسا، في علاقات أدبية وفنية واكتشاف عوالم أخرى بالتجربة والحياة اليومية في أوروبا، سأتفرغ تماماً للكتابة والقراءة، أي أحاول أن أعمل على مشروع حياتي، فما زلت في بداية كل شيء، الطريق طويل ويطول، والعمر قصير ويقصر، فأنا لا أفكر في عشر سنوات قادمة، ولكن خطتي للخمس سنوات القادمة إذا كان للعمر بقية، فهي حاسمة جداً وأفكر فيها رأسياً وليس أفقياً، وأتمنى عندما يأتي عام 2018 أن يكون الحال ليس هذا الحال، أقصد أفضل بكثير.

- يقال يا بركة إن (الجنقو) لم تعتمد على الفن، ولكن

(اعتمدت على المسكوت عنه؟)

الذين يقولون ذلك عليهم بكتابته مع المبررات بأدوات نقدية وليس أدوات أخلاقية، وأتمنى ألا يكون الموضوع سوى قليل من الحسد الذي لا يضر كثيراً وهو مثل طرق الصائح يخيف ولا يؤذي وإلا فليكتبون، لأن الذين كتبوا قالوا غير ذلك، تحدثوا عن البنية الفنية للرواية، عن الزمان

والمكان ومواقع الراوي والحدث، وهناك نقاد عرب كثر كتبوا عنها، ولكن ألم يقل هؤلاء من قبل للطيب صالح عليك بالقراءة؟ وكيف أخذت هذه الرواية جائزة الطيب صالح: هل لأن الحكام يعتمدون على المسكوت عنه وليس الفن؟ وكم هي الروايات التي تتحدث في المسكوت عنه، إنهم جيل كامل من الكتاب، وعشرات الروايات. إذاً لم يكن لهذا العمل ما يميزه لماذا يسكت عنه كما سكت عن غيره؟.

- يقال أيضاً أنك قد استثمرت حادثة المنع الرقابي سياسياً وصحفياً لخلق ضجة أكبر من الرواية كعمل فني؟

أريد جريدة تؤكد أنني طلبت منها كتابة شيء عني، أو عن أعمالي، أو صحفياً قد طلبت منه إجراء حوار معي أو ناقداً رجوته أن يكتب عن أعمالي، كانت الصحافة وما زالت هي التي تبحث عني وتطاردي إلى الآن، وفي هذا المكان البعيد لم أنج من ملاحظتها، من تليفزيون وجرائد ومجلات وراديو وغيرها، إذاً هذه (اليقال) أيضاً خلفها ما خلفها من محاولة للتبخيس والتقليل من شأن الآخر، وبها من عفن الإقصاء الكثير، الذي أشم رائحته هنا في هذا المنفى الرحيم.

- يشاء أيضاً أنك أصبحت مواطناً نمساوياً يا بركة؟
أنا في المنفى ولست مغترباً.

- ألا تمنقذ أستاذ بركة بأنك عندما تفادر السودان وتقيم في فيينا ستفقد مصادر إبداعك القومية؟

ربما جاوبت على هذا أيضاً سابقاً: 49 عاماً في السودان لا يمكن أن

== أيقونة الرواية السودانية: بَرَكة ساكن ==

يمحو أثرها الضاري ستة أشهر، ولا ست سنوات، فالوقت لم يحن بعد لتقييم هذه التجربة، والمستقبل سيجابو على الكثير من الأسئلة، وسيضع أسئلة أكثر واقعية وجدة.

- **هناك اتهام بأن بركة يكتب لمتلقٍ غير سوداني بفرض الترجمة والدخول للمالية؟**

هذا لم يقرأني بحياد وموضوعية، وأقصد بهاتين الكلمتين دون غرض وقتي، ويعرف أنني أعمل جاهداً أن أكتب ما يمكن تسميته الرواية السودانية، وسأترك ذلك لحكم الزمن.